جامعة الأزهر
كلية أصول الدين
والدعوة الإسلامية بالمنوفية

# جُهودِ المُحَدِّثين في كتابة الحديث

إعداد الدكتور

**مهدي بن محمد رشاد الحكمي**
أستاذ الحديث وعلومه – كلية التربية
جامعة جازان – المملكة العربية السعودية

بسم الله الرحمن الرحيم

# المُقَدِّمَة

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله وبعد:

فإن السنة النبوية تعد المصدر الثاني من مصادر التشريع الإسلامي لأنها تبين ما نزل من القرآن الكريم ليتم التأسي به، ولتحيا الأمة في رياضه بطمأنينة وسلام، ولكن المغرضين وأعداء الدين حاولوا النيل من هذين المصدرين؛ كي تنصرف الأمة عنهما بعد أن تتزعزع الثقة بهما، فحاول قسم منهم الطعن في السنة النبوية باعتبارها أساساً للدين فإذا أنهدم أو تصدع فإن الأمة ستتركه – زعموا ذلك – فأخذوا يجلبون بخيلهم ورجلهم لإقامة حرب شعواء عليها، ولكنهم لما رأوا تمسك الأمة في أيامها الأولى بهدي رسولها (ﷺ) أخذوا سبيلاً آخر موّهوه بأحاديث من صنع أنفسهم، فاتخذت الأمة التي أخذت على عاتقها حماية هذا الثغر التدابير، والموانع لصد تلك السهام الموجهة إلى السنة، بدءاً من التقليل من الرواية وانتهاء بوضع قواعد الجرح والتعديل التي تميز المقبول من المردود راوياً ورواية.

وبتتبع التاريخ من بعد وفاة الرسول (ﷺ) نجد أن الشبه المثارة والطعون الموجهة إلى السنة لم تترك مجالاً مما تدور فيه السنة إلا ودخلته، ويجمع ذلك أمران هما: الراوي والمروي، أوالسند والمتن، ونلاحظ في زمننا هذا أناساً من بني جلدتنا يتكلمون بلغتنا – كأسلافهم – يلوكون تلك الشبه ويوجهون تلك

الطعون لكن يلونونها في كل عصر باللون السائد فيه، وهي في الأصل تعود على العصبية أو الشعوبية، أو الإلحاد، أو التزهد غير الراشد ونحو ذلك.

فانقدح في خلدي وأنا أسمع وأرى بعض تلك الشبهات أن علماءنا الأفاضل لم يتركوا لهم عافطة ولا نافطة ولم يدعو لهم هبعاً ولا ربعاً حتى أتوا على خضرائهم فأبادوها على بكرة أبيهم، من أول يوم نشأت فيه إلى زمننا هذا، لذا أحببت أن أساهم في تجلية هذا المسلك وتوضيح ذلك المنهج باقتضاب، وسرت فيه باختصار بعد أن جمعت فيما أحسب رؤوس تلك المسائل التي اتخذها علماؤنا وهم في الميدان لصد ضربات الخصوم، فكان هذا البحث بعنوان **(جهود المحدثين في كتابة الحديث)**، فبدأته بهذه المقدمة وأتبعتها بمطلبين:

**المطلب الأول: جهود الصحابة (ﷺ) ويشمل:**

١- التقليل من الرواية

٢- التثبت من الراوي.

٣- عرض ما لم يحفظوه على المحفوظ، أو السؤال عنه.

**المطلب الثاني: جهود التابعين فمن بعدهم ويشمل:**

١- المطالبة بالإسناد.

٢- الرحلة.

٣- تدوين الطبقات ومعرفة أوطان الرواة.

٤- معرفة تواريخ الرواة.

٥- نقد الرواة (الجرح والتعديل).

ثم **الخاتمة** وفيها خلاصة ما مضى في البحث، ثم **الفهارس**.

ولقد اختصرت الكلام ولم أستطرد في ذكر الأدلة والاستـــشهادات نظـــرا لتحديد عدد الصفحات المطلوبة للنشر في المجلات المحكمة.

فما كان من صواب فمن الله وبتوفيقه، وما سوى ذلك فمن نفسي والشيطان وأستغفر الله لي ولكم ولإخواني المسلمين أجمعين الأولين والآخرين، والحمد لله رب العالمين.

وكتبه الدكتور

**مهدي بن محمد أحمد رشاد الحكمي**

**أستاذ الحديث المشارك**

**كلية التربية – جامعة جازان**

# المطلب الأول

# جهود الصحابة (ﷺ)

**ويشمل:**

١- التقليل من الرواية

٢- التثبت من الراوي.

٣- عرض ما لم يحفظوه على المحفوظ، أو السؤال عنه.

## ١- التقليل من الرواية:

لقد أيقن الصحابة (ﷺ) أنهم مؤتمنون على تبليغ هذا الدين بعد وفاة الرسول (ﷺ)، وأن القرآن الكريم هو المنهج الذي يجب التزامه، والسير على هداه، وأن السنة النبوية وسيرة الرسول (ﷺ) العملية هي الترجمة الحقيقية، والمثال الكامل الصحيح لامتثال هذا المنهج القرآني الفريد.

لهذا وغيره رأى أكثر الصحابة التقليل من رواية الحديث، واكتفوا في حياتهم اليومية بتطبيقهم العملي الذي عاشوه في عصر النبوة، الأمر الذي يدل دلالة واضحة على أنهم (ﷺ) كانوا في جملتهم مثالاً شاملاً وصورة صحيحة أمينة لمنهج الرسول (ﷺ) في حياته.

إذ كان القرآن ينزل، والرسول (ﷺ) يطبق ويمتثل، وهم شاهدون، ويبادرون بالاقتداء به (ﷺ) و(ﷺ). فكان لسان حالهم يقول للأجيال الذين تفشّوا فيها: هكذا كان رسول الله (ﷺ) يمتثل القرآن الكريم ويعمل به في حياته، ونحن صورة حية لذلك.

ومما دفعهم إلى التقليل من الرواية أيضاً نفورهم وخوفهم من مغبة الكذب على الرسول (ﷺ).

**ففي صحيح البخاري عن عبد الله بن الزبير (رضي الله عنهما) أنه قال لأبيه:** (إنـــي لا أسمعك تحدث عن رسول الله (ﷺ) كما يحدث فلان وفلان)، قال: (أما إني لم أفارقه، ولكن سمعته يقول: (من كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار)([1]).

**قال ابن حجر** (رحمه الله): (وفي تمسك الزبير بهذا الحديث على ما ذهب إليه من اختيار قلة التحديث دليل للأصح في أن الكذب هو الإخبار بالـشيء علـى خلاف ما هو عليه سواء كان عمداً أم خطأ، والمخطئ وإن كان غيـر مـأثوم بالإجماع لكن الزبير خشي من الإكثار إذ الإكثار مظنة الخطأ، والثقة إذا حـدث بالخطأ فحمل عنه، وهو لا يشعر أنه خطأ يعمل به على الدوام للوثـوق بنقلـه، فيكون سبباً للعمل بما لم يقله الشارع فمن خشي من الإكثار الوقوع في الخطأ لا يؤمن عليه الإثم إذا تعمد الإكثار فمن ثم توقف الزبير وغيره من الصحابة عـن الإكثار من التحديث، وأما من أكثر منهم فمحمول على أنهم كانوا واثقـين مـن أنفسهم بالتثبت، وطالت أعمارهم فاحتيج إلى ما عنـدهم فـسئلوا فلـم يمكـنهم الكتمان (رضي الله عنهم))ا.هـ([2]).

**وثبت مثل ذلك عن غير الزبير؛ فعن أنس بن مالك (رضي الله عنه) أنه قـال:** (إنـه ليمنعني أن أحدثكم حديثاً كثيراً أن رسول الله (ﷺ) قال: ((من تعمد علـيَّ كـذباً فليتبوأ مقعده من النار))([3]).

**قال الحافظ ابن حجر:** (وإنما خشي أنس مما خشي منـه الزبيـر، ولهـذا صرح بلفظ إكثار لأنه مظنة، ومن حام حول الحمى لا يأمن وقوعه فيه، فكـان

---

(١) صحيح البخاري: كتاب العلم: باب إثم من كذب علي النبي (ﷺ): ١/١٢ ح(١٠٧).

(٢) فتح الباري: كتاب العلم: باب إثم من كذب على النبي (ﷺ) ١/٢٠٠ ح(١٠٧).

(٣) صحيح البخاري: الموضع السابق ح: (١٠٨)، وصحيح مسلم – المقدمة: بـاب تغلـيظ الكذب على رسول الله (ﷺ): ١/١٠ ح (٢).

التقليل منهم للاحتراز، ومع ذلك فأنس من المكثرين لأنه تأخرت وفاته فاحتيج إليه كما قدمناه ولم يمكنه الكتمان، ويجمع بأنه لو حدث بجميع ما عنده لكان أضعاف ما حدث به..) ا.هـ(١).

ولما كان عهد عمر (ﷺ) سار على هذا المنهج، ولم يكتف به لنفسه بل أمر غيره به، بل إنه حبس من تجاوزه.

**فروى ابن ماجة بإسناده عن قريظة بن كعب (ﷺ) قال:** بعثنا عمر بن الخطاب (ﷺ) إلى الكوفة، وشيعنا، فمشى معنا إلى موضع يقال له: ضرار، فقال: (أتدرون لم مشيت معكم؟) قال: قلنا: (لحق صحبة رسول الله (ﷺ) ولحق الأنصار)، قال: (لكني مشيت معكم لحديث أردت أن أحدثكم به، فأردت أن تحفظوه لممشاي معكم، إنكم تقدمون على قوم للقرآن في صدورهم هزيز كهزيز المرجل، فإذا رأوكم مدّوا إليكم أعناقهم، وقالوا: أصحاب محمد، فأقلوا الرواية عن رسول الله (ﷺ) ثم أنا شريككم)(٢).

**قال الطحاوي:** {فدل هذا الحديث على أن عمر إنما أراد بما أراد مما في الأحاديث الأُوَل أن لا يقطعوا الناس عن كتاب الله (ﷻ)، بما يحدثونهم به عن رسول الله (ﷺ) وفي ذلك ما قد دل أنه إنما كره منهم هذا المعنى لا ما سواه مما يجمعون به التشاغل بكتاب الله (ﷻ)، والحديث عن رسول الله (ﷺ) الذي

---

(١) فتح الباري: الموضع السابق.

(٢) سنن ابن ماجة: المقدمة: باب التوقي في الحديث عن رسول الله (ﷺ): ١٢/١: ح (٢٨)، ورواه الحاكم في المستدرك ١٠٢/١ وقال: هذا حديث صحيح الإسناد، له طرق تجمع ويذاكر بها.. وقال الذهبي بهامشه: صحيح وله طرق، والطحاوي في مشكل الآثار: ٣١٦/١٥، والدارمي في سننه: باب من هاب الفتيا مخافة السقط: ٩٧/١١: ح (٢٨٠) مطولا.

يستدلون به على معاني كتاب الله، لا بما يُقطعون بـــه عـــن كتـــاب الله (ﷻ)} ا.هـــ([1]).

**ولم يكتف (ﷺ) بذلك بل إنه تابع أمره فمن وجده مخالفاً حبسه فقـــد ورد عنه أنه قال لأبي مسعود، وأبي الدرداء، وأبي ذر:** (ما هذا الحديث عن رسول الله (ﷺ)؟) قال: (وأحسبه حبسهم حتى أصيب) ا.هـــ([2]).

فانظر مدى حرص عمر (ﷺ) على أن يبقى معين القرآن مورداً ســـائغاً لا يشغل الناس عنه بغيره، وليس حبسه لهؤلاء الصحابة- مع ثبوت حرصهم على التبليغ واقتدائهم بالنبي (ﷺ) إلا دليلاً واضحاً على اهتمامه بذلك غاية الاهتمام.

**قال الطحاوي** (رحمه الله): (.... أن عمر كان مذهبه حياطة ما يـــروى عـــن رسول الله (ﷺ)، وإن كان الذين رووه عدولاً، إذ كان على الأئمة تأمل ما يشهد به عندهم ممن قد ثبت عدله عندهم، فكان عمر فيما يُحَدِّثُ بـــه عـــن رســـول الله(ﷺ) مما لا يحفظه عنه كذلك أيضاً. وكذلك فعل بأبي موسى مع عدله عنـــده فيما حدث به عنه، عن النبي (ﷺ) ممالم يكن عنده في الاســـتئذان.....، وقـــد وقف على ذلك منه أبي بن كعب ومن سواه من أصحاب رسول الله (ﷺ) الـــذين وقفوا على ذلك منه ولم ينكروه عليه، ولم يخالفوه فيه، فدل ذلك على مـــوافقتهم إياه عليه، ولما كان ذلك كذلك فعل في أمور الذين كان منه في حبسهم مما كان فعله في ذلك لهذا المعنى، لا لأن يقطعهم عن التبليغ عن رسول الله (ﷺ) الناس ما قد سمعوه منه، وكذلك كان أبو بكر(ﷺ) قبله في مثل هذا) ا.هـــ([3]).

---

(١) مشكل الآثار للطحاوي: ٣٢٠/١٥.

(٢) مشكل الآثار للطحاوي: ٣١٢/١٥، ورواه الحاكم في المستدرك: ١١٠/١ وصححه على شرط الشيخين ووافقه الذهبي.

(٣) مشكل الآثار للطحاوي: ٣١٣/١٥-٣١٤.

## ٢- التثبت من الراوي:

لم يكن كل واحد من الصحابة (ﷺ) يحفظ كل ما حفظه غيره عن الرسول (ﷺ) إذ إنهم متفاوتون في مقدار ما حفظوه لأسباب كثيرة، من أهمها طول الصحبة، والسبق إلى الإسلام وغير ذلك.

لذا فكانوا إذا سمعوا حديثاً مما لم يحفظوه فإنهم لا يبادرون بقبوله حتى يسبروه ويتأكدوا من نسبته إلى الرسول (ﷺ) فهذا أبو بكر الصديق (ﷺ) أول من فعل ذلك كما ذكر ذلك الإمام الحافظ الذهبي (رحمه الله) حيث قال: (كان أول من احتاط في قبول الأخبار) ا.هـ(١).

**ثم ذكر حديث توريث الجدة عن قبيصة بن ذؤيب أنه قال:** (جاءت الجدة إلى أبي بكر الصديق تسأله عن ميراثها)، فقال: (مالك في كتاب الله شيء، وما علمت لك في سنة نبي الله (ﷺ) شيئاً، فارجعي حتى أسأل الناس)، فسأل الناس، فقال المغيرة بن شعبة: (حضرت رسول الله (ﷺ) أعطاها السدس)، فقال أبو بكر: (هل معك غيرك؟) فقام محمد بن مسلمة فقال مثل ما قال المغيرة بن شعبة، فأنفذه لها أبو بكر..)(٢).

ومثل سيرة الصديق هذه سار الفاروق (رضي الله عنهما) فقد أخذ بالتثبت والتحري في قبول الرواية عن الرسول (ﷺ) لكي لا يتجرأ الناس على حديث الرسول (ﷺ) ففي صحيح البخاري عن أبي سعيد الخدري (ﷺ) قال: (كنت في مجلس من مجالس الأنصار إذ جاء أبو موسى كأنه مذعور، فقال: استأذنت على عمر

---

(١) تذكرة الحفاظ للذهبي: ٢/١ رقم الترجمة (١).

(٢) رواه أبو داود في سننه: كتاب الفرائض: باب في الجدة: ٣١٦/٣: ج (٢٨٩٤)، والترمذي في جامعه: كتاب الفرائض: باب في ميراث الجدة: ٢٨٠/٦: ج (٢١٠٢) ثم قال وهذا أحسن وهو أصح من حديث ابن عيينة.

ثلاثاً فلم يؤذن لي فرجعت، فقال: ما منعك؟ قال استأذنت ثلاثاً فلم يؤذن لي فرجعت وقال رسول الله (ﷺ): {(إذا استأذن أحدكم ثلاثاً فلم يؤذن له فليرجع)} فقال: والله لتقيمن عليه بينة، أمنكم أحد سمعه من النبي (ﷺ)؟ فقال أبي بن كعب: والله لا يقوم معك إلا أصغر القوم، فكنت أصغر القوم، فقمت معه فأخبرت عمر أن النبي (ﷺ) قال ذلك(١).

فكان هذا الأمر سائداً في خلافة العمرين (رضي الله عنهما) بل قد ورد في بعض روايات مسلم أن عمر قال: (.... سبحان الله إنما سمعت شيئاً فأحببت أن تثبت).

ولعلي بن أبي طالب (رضي الله عنه) طريقة أخرى في التثبت في رواية الحديث هي أنه يستحلف الراوي. ففي سنن أبي داود (رحمه الله) عن أسماء بن الحكم الفزاري قال: (سمعت علياً (رضي الله عنه) يقول: كنت رجلاً إذا سمعت من رسول الله (ﷺ) حديثاً نفعني الله منه بما شاء أن ينفعني، وإذا حدثني أحد من أصحابه استحلفته، فإذا حلف لي صدقته، قال: وحدثني أبو بكر، وصدق أبو بكر (رضي الله عنه) أنه قال: سمعت رسول الله (ﷺ) يقول: ((**ما من عبد بذنب ذنباً فيحسن الطهور، ثم يقوم فيصلي ركعتين، ثم يستغفر الله إلا غفر له**)) ثم قرآ هذه الآية: ﴿ **وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلُوا۟ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾** ﴾ (آل عمران: ١٣٥).

---

(١) صحيح البخاري: كتاب الاستئذان: باب التسليم والاستئذان ثلاثاً: ص٥٢٦ ح (٦٢٤٥)، ومسلم في صحيحه: كتاب السلام: باب الاستئذان: ٣/١٦٩٤: ح (٣٣/٢١٥٣) وما بعده.

**قلت:** فهل بعد هذا المنهج الذي سلكه الصحابة (ﷺ) جميعاً في التحوط للسنة النبوية يسوغ لمفتون أن يطعن في السنة النبوية؟ كلا.

### ٣- (عرض ما لم يحفظوه على المحفوظ)أو السؤال عنه

لم يكن الصحابة – رضوان الله عليهم– يكتفون بعدالة الراوي إذا روى لهم الخبر – وكلهم عدول – بل إذا بلغهم حديث لم يكونوا يحفظونه ولم يعرفوا ما حواه من أحكام فإنهم يعرضونه على ما يعرفونه أو يحفظونه من القرآن أو سالوا عنه من ظنوه حافظاً له.

فهذا الخليفة الراشد عمر بن الخطاب (ﷺ) يسمع حديث فاطمة بنت قيس في أن زوجها طلقها ثلاثاً ولم يجعل لها رسول الله (ﷺ) سكنى ولا نفقة.

فقد روى مسلم في صحيحه بإسناده عن أبي إسحاق قال: (كنت مع الأسود بن يزيد جالساً في المسجد الأعظم ومعنا الشعبي، فحدث الشعبي بحديث فاطمة بنت قيس أن رسول الله (ﷺ) لم يجعل لها سكنى ولا نفقة، ثم أخذ الأسود كفاً من حصى فحصبه به، فقال: ويلك تحدث بمثل هذا؟ قال عمر: لا نترك كتاب الله وسنة نبينا (ﷺ) لقول امرأة لا ندري لعلها حفظت أو نسيت، لها السكنى والنفقة، قال الله (ﷻ): ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا۟ ٱلْعِدَّةَ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ رَبَّكُمْ ۖ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنۢ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّآ أَن يَأْتِينَ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ ۚ وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥ ۚ لَا تَدْرِى لَعَلَّ ٱللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَٰلِكَ أَمْرًا ﴿١﴾﴾ (الطلاق: ١).

وتلك عائشة (رضي الله عنها) تنهج ذلك فترد رواية عمر وابنه عبد الله (رضي الله عنهما) في تعذيب الميت ببكاء أهله عليه. ففي الصحيح عن ابن عباس (رضي الله عنهما) أنه قال: (.... فلما أصيب عمر دخل صهيب يبكي ويقول: وا أخاه، وا صباحاه. فقال

عمر(ﷺ): يا صهيب أتبكي علي وقد قال رسول الله (ﷺ): {(إن الميت يعذب ببكاء أهله عليه)}. قال ابن عباس (رضي الله عنهما) فلما مات عمر (ﷺ) ذكرت ذلك لعائشة (رضي الله عنها) فقالت: رحم الله عمر، والله ما حدث رسول الله (ﷺ) أن الله ليعذب المؤمن ببكاء أهله عليه، ولكن رسول الله (ﷺ) قال: ((**إن الله ليزيد الكافر عذاباً ببكاء أهله عليه**)) وقالت حسبكم القرآن: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴿١٦٤﴾﴾ (الأنعام ١٦٤) ا.هـ(١).

وهذا يشير إلى أن هذا المنهج كان مسلوكاً عند الصحابة (ﷺ) صيانة للحديث عن رسول الله (ﷺ) من أن يفسر على غير المراد أو أن يدخل فيه ما ليس منه سهواً أو خطأ من الراوي، لا أنهم يتهمون الرواة أو يسيئون الظن بهم، فقد ورد عن عائشة – (رضي الله عنها) عند مسلم – أنها– لما حدثت عن ابن عمر بذلك– قالت: (يغفر الله لأبي عبد الرحمن، أما إنه لم يكذب، ولكنه نسي أو أخطأ، وإنما مر رسول الله (ﷺ) على يهودية يُبكى عليها فقال: {(إنهم ليبكون عليها وإنها لتعذب في قبرها)}(٢).

وكان بعض الصحابة إذا سمع رواية لم يعرفها أرسل يسأل من يظن أنه يعرفها، وإن كان الذي حدثه به صحابياً معروفاً مشهوراً بالرواية عن الرسول (ﷺ)، فقد أرسل ابن عمر (رضي الله عنهما) إلى عائشة (رضي الله عنها) يسألها عن حديث رواه أبو هريرة فصدقته. روى مسلم في صحيحه (عن عامر بن سعد بن أبي وقاص أنه كان قاعداً عند عبد الله بن عمر إذ طلع خباب صاحب المقصورة

(١) صحيح البخاري: كتاب الجنائز: باب قول النبي (ﷺ): يعذب الميت ببعض بكاء أهله عليه: ص ١٠٠: ح (١٢٨٧و١٢٨٨) ، ورواه مسلم في صحيحه: كتاب الجنائز: باب الميت يعذب ببكاء أهله عليه: ٦٤١/٣: ح (٩٢٨/٢٣).

(٢) صحيح مسلم: الموضع السابق: ح (٩٣٢/٢٧).

فقال: يا عبد الله بن عمر ألا تسمع ما يقول أبو هريرة أنه سمع رسول الله (ﷺ) يقول: ((من خرج مع جنازة من بيتها وصلى عليها، ثم تبعها حتى تدفن كان له قيراطان من اجر، كل قيراط مثل أحد، ومن صلى عليها ثم رجع كان له من الأجر مثل أحد))؟ فأرسل ابن عمر خباباً إلى عائشة يسألها عن قول أبي هريرة ثم يرجع إليه فيخبره ما قالت، وأخذ ابن عمر قبضة من حصباء المسجد يقلبها في يده حتى رجع إليه الرسول، فقال: قالت عائشة: صدق أبو هريرة، فضرب ابن عمر بالحصى الذي كان في يده الأرض، ثم قال: لقد فرطنا في قراريط كثيرة)([1]).

مما سبق يتضح لنا بجلاء حرص الصحابة (رضي الله عنهم) على وقاية السنة النبوية من كل ما شأنه أن يشوبها بأية شائبة مهما صغرت.

(١) صحيح مسلم: كتاب الجنائز: باب فضل الصلاة على الجنازة واتباعها: ٣/٦٥٣: ح (٩٤٥/٥٦).

# المطلب الثاني
# جهود التابعين فمن بعدهم

**ويشمل:**

١- المطالبة بالإسناد.

٢- الرحلة.

٣- تدوين الطبقات ومعرفة أوطان الرواة.

٤- معرفة تواريخ الرواة.

٥- نقد الرواة (الجرح والتعديل).

## ١- المطالبة بالإسناد

إن سند الحديث سياج واق من العدوان على السنة النبوية وحصن منيع من دخول المغرضين، ولقد كان الناس بعد وفاة الرسول (ﷺ) إلى أن وقعت الفتنة بقتل أمير المؤمنين عثمان بن عفان (رضي الله عنه) في مأمن وسلامة من شيوع الروايات التي تحوي البدع والطعن في أسس هذا الدين، ولذا كانوا يكتفون بعدالة الراوي لأن الغالب الشائع بينهم اجتناب الكذب في أحاديثهم العامة فضلاً عن حديث رسول الله (ﷺ) فلما انصدعت الأمة بقتل الخليفة الراشد الثالث عثمان (رضي الله عنه) أطلت الفتن برؤوسها وأصبح لها رؤوس وفكر تروج من خلاله أغراضها التي أهمها أن تنخر في قوائم هذا الدين ومن تلك القوائم السنة النبوية فيدخلون فيها أحاديث ليست منها، فلما أحس حماة ثغور السنة بذلك نشروا المنهج الوقائي وهو المطالبة بالإسناد قال ابن سيرين (رحمه الله): (لم يكونوا يسألون عن الإسناد،

فلما وقعت الفتنة قالوا: سموا لنا رجالكم فينظر إلى أهل السنة فيؤخذ حديثهم، وينظر إلى أهل البدع فلا يؤخذ حديثهم) ا.هـ([1]).

الأمر الذي يظهر بجلاء حرص الصحابة (ﷺ) ومن بعدهم على سلامة الحديث النبوي والسنة المطهرة، وأن تؤدي إلى الأجيال بعدهم نقية صافية، وقد دار بخلدهم أن هذا العلم النبوي المنقول بالسند دين يجب الأخذ به والمحافظة عليه، والدعوة إليه ولا يتساهلون أو يفرطون فيه، فعن ابن سيرين أيضاً أنه قال: (إن هذا العلم دين فانظروا عمن تأخذون دينكم) ا.هـ([2]).

**وقال ابن المبارك** (رحمه الله): (الإسناد من الدين، ولولا الإسناد لقال من شاء ما شاء)([3]).

وقال الأوزاعي (رحمه الله): (ما ذهاب العلم إلا ذهاب الإسناد)([4]).

وذلكم ابن سيرين أحد سادات التابعين يصور لنا الحال عند الصحابة (ﷺ) بعد الفتنة وأنهم نقلوا هذا المسلك إلى تلاميذهم فمصداق ما قاله ابن سيرين ما ورد عن ابن عباس، فروى مسلم في مقدمة صحيحه عن مجاهد قال: جاء بُشير العدوي إلى ابن عباس (رضي الله عنهما) فجعل يحدث ويقول: قال رسول الله (ﷺ)، قال رسول الله (ﷺ) فجعل ابن عباس لا يأذن لحديثه، ولا ينظر إليه، فقال ابن عباس مالي لا أراك تسمع لحديثي؟ أحدثك عن رسول الله (ﷺ) ولا تسمع، فقال ابن عباس: (إنا كنا مرة إذا سمعنا رجلاً يقول: قال رسول الله (ﷺ) ابتدرته

---

(١) مقدمة صحيح مسلم: باب بيان أن الإسناد من الدين: ١٥/١، وسنن الدرامي: باب في الحديث عن الثقات: ١٢٣/١: ح (٤١٦).

(٢) المرجع السابق، والمصنف لابن أبي شيبة: ٣٣٤/٥: ح (٢٦٦٣٦).

(٣) مقدمة صحيح مسلم الموضع السابق.

(٤) التمهيد لابن عبد البر: ٥٧/١.

أبصارنا، وأصغينا إليه بآذاننا، فلما ركب الناس الصعب والذلول لم نأخذ من الناس إلا ما نعرف) ا.هـ(١).

**قلت:** فلما أخذ العلماء وطلبة العلم في القرن الأول يطالبون الرواة ونقلة الأحاديث بالإسناد أصبح الطريق مسدوداً على أهل البدعة ودعاة الفتنة، فشرع هؤلاء يأخذون بالإسناد ويروون به، فوقف لهم العلماء بمصدٍّ آخر وهو أنهم لا يقبلون الرواية عن كل أحد بل كانوا يفحصون، ويسألون فلا يقبلون إلا رواية أهل السنة ويردون رواية المبتدعة، ونحوهم من الكذابين والمغفلين...وأصبح الميدان –ميدان العلم والرواية– مشغولاً بمضمون قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوْمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَٰدِمِينَ ﴿٦﴾ ﴾(الحجرات: ٦) وغيرها من الآيات التي تدل على التحري.

وقد سبق قول ابن سيرين في الأخذ بالإسناد وفيه (... سموا لنا رجالكم فينظر إلى أهل السنة فيؤخذ حديثهم، وينظر إلى أهل البدع فلا يؤخذ حديثهم).

**وكذا قول ابن المبارك:** (إن الإسناد من الدين ولولا الإسناد لقال من شاء ما شاء فإذا قيل له من حدثك بقي) ا.هـ(٢).

وكانوا أيضاً ينظرون بأنفسهم إلى من يروون عنه ليعرفوا سمته وهديه وسلوكه فإن أفعال الإنسان غالباً تدل على سيرته.

**فهذا الإمام إبراهيم النخعي** (رحمه الله) **يقول:** (كانوا إذا أتوا الرجل ليأخذوا عنه نظروا إلى صلاته وإلى سنته وإلى هيئته ثم يأخذون عنه). ا.هـ(٣).

---

(١) التمهيد لابن عبد البر: ١/٥٧..

(٢) كتاب العلل للترمذي في آخر جامعه: باب ابن المبارك يقول الإسناد من الدين: ٩/٤٣٨.

(٣) سنن الدارمي: باب الحديث عن الثقات: ١/١٢٤: ح (٤٢٠).

وورد مثل ذلك عن أبي العالية فقال: (كنا نأتي الرجل لنأخذ عنه فننظر إذا صلى فإن أحسنها جلسنا إليه، وقلنا: هو لغيرها أحسن، وإن أساءها قمنا عنه، وقلنا هو لغيرها أسوأ). ا.هـ(١).

وليس معنى هذا أنهم قد يقدحون في ديانة من تركوا الرواية عنه، كلا، ولكن التدين والالتزام به شيء، وأهلية الرواية عنه وكونه ثقة شيء آخر.فعن أبي الزناد أنه قال: (أدركت بالمدينة مائة كلهم مأمون، ما يؤخذ عنهم الحديث، يقال ليس من أهله). ا.هـ(٢).

لذا كانت عناية المحدثين بالإسناد تفوق غيرها، ولا غرو فإن الإسناد من خصائص هذه الأمة، قال أبو علي الجياني: (خص الله هذه الأمة بثلاثة أشياء لم يعطها من قبلها: الإسناد والأنساب والإعراب).ا.هـ(٣).

**وقال أبو حاتم الرازي** (رحمه الله): (لم يكن في أمة من الأمم منذ خلق الله آدم أمناء يحفظون آثار الرسل إلا في هذه الأمة، فقال له رجل يا أبا حاتم ربما أوردوا حديثاً لا أصل له ولا يصح فقال: علماؤهم يعرفون الصحيح من السقيم، فروايتهم ذلك للمعرفة ليتبين لمن بعدهم أنهم ميزوا الآثار وحفظوها...)ا.هـ(٤)

## فوائد الإسناد

١- أنه خصيصة لهذه الأمة، وبه تحفظ السنة.

٢- بواسطته يميز بين الاتصال والانقطاع.

٣- بواسطته يعرف العالي والنازل.

---

(١) سنن الدارمي: باب الحديث عن الثقات: ١/١٢٤: ح (٤٢٠).

(٢) مقدمة صحيح مسلم: باب بيان الإسناد من الدين ...: ١/١٥.

(٣) تدريب الراوي: النوع التاسع والعشرون معرفة الإسناد العالي والنازل: ٢/١٥٩.

(٤) رف أصحاب الحديث: كون أصحاب الحديث حماة الدين بذبهم عن السنن: ١/٤٣.

٤- بواسطته يستطاع تمييز المقبول من المردود من المتون.

٥- تدرك بواسطته منزلة السنة النبوية من القرآن الكريم ومكانتها من التشريع الإسلامي.

٦- يبين مدى اهتمام علماء الحديث به والتأكيد عليه.

## ٢- الرحلة

لقد امتلأت خاصرتا التاريخ بأخبار علماء الإسلام عامة، وبالأخص جهابذة الحديث ونقاده، وأنباء رحلاتهم التي تحملوا من أجلها الضنى وعانوا فيها الضنك، تركوا - على صغر أسنانهم وحداثة أعمارهم - أهلهم وديارهم، من أجل العلم، فطوفوا البلدان، ووصلوا الآفاق، من أجل سماع رجل واحد، أو حديث واحد رغم أبعاد السفر الشاسعة، وآلام الطرق الشاقة، إخلاصاً لله، وحرصاً على سنة رسول الله (ﷺ) زهدوا في النوال وربأوا عن الجاه، وواصلوا كلال الليل بكلال النهار، فلم يتركوا أحداً عنده علم من الصحابة ومن بعدهم نائياً كان أو دانياً إلا ورحلوا إليه وأخذوا منه، وكتبوا عنه.

واستلهموا ذلك من قوله تعالى: ﴿ ۞ وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا۟ كَآفَّةً ۚ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴿١٢٢﴾ (التوبة: ١٢٢).

**ومن قوله (ﷺ): (نضر الله امرءاً سمع منا حديثاً فحفظه حتى يبلغه غيره، فرب حامل فقه إلى من هو أفقه منه، ورب حامل فقه ليس بفقيه)**(١).

---

(١) جامع الترمذي: كتاب العلم: باب ما جاء في الحث على تبليغ السماع: ٣٠٦/٧ ح (٢٦٥٨) عن زيد بن ثابت (رضي الله عنه)، وقال: حديث حسن وبعده برقم (٢٦٥٩) عن ابن مسعود (رضي الله عنه) وقال: حديث حسن صحيح. ا.هـ

ولا غرو في ذلك فإنهم يتعبدون الله بذلك مستندين إلى قوله (ﷺ): ((من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهل الله له به طريقاً إلى الجنة...))(١).

فلقد كان بعض الصحابة – عليهم رضوان الله– يقصد الرسول (ﷺ) من أطراف الجزيرة للسماع منه مباشرة، والرجوع إلى قومهم ليبلغوهم ما سمعوه، كضمام بن ثعلبة (رضي الله عنه) الذي وفد عن بني سعد بن بكر من هوازن ثم عاد إليهم فأخبرهم بما سمعه من الرسول (ﷺ) فأسلموا(٢).

ولما توفي الرسول (ﷺ) ولحق بالرفيق الأعلى انتشر الصحابة –رضوان الله عليهم– في أرجاء الأرض وأطرافها يبلغون الدعوة الإسلامية وينشرون العلم فوصلوا أغلب الحواضر والبوادي والمدن والقرى خارج الجزيرة العربية، وضرب الدين فيها بجرانه، وعندئذ رأت الأجيال التي احتضنتهم أن لا محيص عن الأخذ عنهم ولا مناص من الرحلة إليهم ولقد كان من الصحابة أنفسهم من رحل إلى بعض إخوانه ليسمع حديثاً واحداً يستغرق في رحلته شهراً أو يزيد.

**فهذا جابر بن عبد الله (رضي الله عنه) قال:** ((بلغني حديث عن أصحاب رسول الله (ﷺ) فابتعت بعيراً فشددت عليه رحلي ثم سرت إليه شهراً حتى قدمت الشام، فإذا عبد الله بن أنيس الأنصاري، فأتيت منزله وأرسلت إليه إن جابراً على الباب، فرجع إليَّ الرسول فقال: جابر بن عبد الله؟ قلت: نعم، فخرج إليَّ فاعتنقته واعتنقني، قال: قلت: حديث بلغني عنك أنك سمعته من رسول الله (ﷺ)

(١) صحيح مسلم: كتاب الذكر والدعاء: باب فضل الاجتماع وتلاوة القرآن...: ٤/٢٠٧٤ ح (٢٦٩٩/٣٨).

(٢) صحيح البخاري: كتاب العلم: باب ما جاء في العلم: ص٨ ح (٦٣).

في المظالم لم أسمعه أنا منه، قال: سمعت رسول الله (ﷺ) يقـول: (يحـشر الله تبارك وتعالى العباد.....) الحديث([1])

ومثله أبو أيوب الأنصاري (رضي الله عنه) روى أنه رحل إلى عقبة بن عـامر (رضي الله عنه) وهو في مصر ففي مسند الحميدي من طريق عطاء بن أبي رباح يقول: (خرج أبو أيوب إلى عقبة بن عامر وهو بمصر يسأله عن حديث سمعه من رسول الله (ﷺ) لم يبق أحد سمعه من رسول الله (ﷺ) غيري وغيرعقبه، فلمـا قـدم أتـى منزل مسلمة بن مخلد الأنصاري وهو أمير مصر فأخبر به فعجل فخرج إليـه فعانقه ثم قال: ما جاء بك؟ يا أبا أيوب!، فقال حديث سمعته من رسول الله (ﷺ) لم يبق أحد سمعه من رسول الله (ﷺ) غيري وغير عقبة، فابعث من يدلني على منزله، قال: فبعث معه من يدل على منزل عقبة فأخبر عقبة به، فعجل فخـرج إليه فعانقه، وقال: ما جاء بك؟ يا أبا أيوب! فقال: حديث سمعته من رسـول الله (ﷺ) لم يبق أحد سمعه غيري وغيرك في ستر المؤمن، قال عقبة: نعم، سمعت رسول الله (ﷺ) يقول: ((من ستر مؤمناً في الدنيا على خزيـة سـتره الله يـوم القيامة)) فقال له أبو أيوب: صدقت، ثم انصرف أبو أيوب إلى راحلته فركبهـا راجعاً إلى المدينة، فما أدركته جائزة مسلمة بـن مخلـد إلا بعـريش مـصر) ا.هـ([2]).

---

(١) أورده البخاري تعليقاً بصيغة الجزم. في صحيحه: كتاب العلم: باب الخروج في طلـب العلم ص ٩ ، وأخرجه أحمد في المسند: ٤٩٥/٣، والحاكم في المستدرك: ٤٣٧/٢ وقال صحيح الإسناد، ووافقه الذهبي وابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله: بـاب ذكـر الرحلة في طلب العلم: ٣٨٩/١: ح (٥٦٥)، ورواه غيرهم.

(٢) مسند الحميدي: أحاديث أبي أيوب الأنـصاري: ١٨٩/١: ح (٣٨٤)، ومـسند أحمـد: ١٥٣/٤ مختصراً، والخطيب البغدادي في الرحلة فـي طلـب الحـديث: ص ١٢٠ ح=

أما رحلات التابعين وأتباعهم في هذا الشأن فهي أشهر من أن تذكر، ولربما خرج الواحد من بلده فلا يعود إليها – إن عاد– إلا بعد أن يطوف الآفاق شرقاً وغرباً وغير ذلك وقد لبث عدة سنين، وربما تكون الرحلة من أجل حديث واحد تفرد به شيخ أو نحو ذلك. حتى عد بعض علماء الحديث ترك الرحلة نقصاً في المحدث.

ولقد عانى هؤلاء العلماء أثناء رحلاتهم الجوع والخوف والمرض والسهر، ولولا أنهم يعلمون أن ذلك من العبادة ومما يجلب في الدنيا السعادة لما تحملوا تلك المعاناة لكن الله هيأهم لحمل هذه الأمانة ليبلغوها كما أخذوها امتثالاً لقول الرسول المعلم (ﷺ): **(نضر الله امرءاً سمع مقالتي فوعاها فأداها كما سمعها.** ...) الحديث([1]).

**قال سعيد بن المسيب** (رحمه الله): إن كنت لأرحل الأيام والليالي في طلب الحديث الواحد. ا.هـ([2])

**وممن ذكر بالرحلة الطويلة لأجل سند واحد الإمام الحافظ مكحول الدمشقي قال:** (كنت عبداً بمصر لامرأة من بني هذيل، فأعتقتني، فما خرجت منها وبها علم إلا حويت عليه فيما أُرى، ثم أتيت الحجاز فما خرجت منها وبها علم إلا حويت عليه فيما أُرى، ثم أتيت العراق فما خرجت منها وبها علم إلا

---

= (٣٥) وقد علق عليه المحقق العلامة الدكتور نور الدين عتر فقال: (وفي مسند الحديث أبو سعد المكي الأعمى مجهول لم يرو عنه إلا ابن جريج، لكن الحديث اعتضد بوروده من أوجه كثيرة جداً أخرج الخطيب هاهنا جملة منها، وكلها لم تخل من المقال كما سنوضحه، لكنها تقوي الحديث ويرتقي بها إلى درجة الحسن) ا.هـ.

(١) سبق تخريجه.

(٢) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع: باب الرحلة في الحديث إلى البلاد النائية: ٢٢٣/٢ رقم (١٦٨٩).

حويت عليه فيما أُرى، ثم أتيت الشام فغربلتها، كل ذلك أسأل عن النفل(١)، فلم أجد أحداً يخبرني فيه بشيء حتى أتيت شيخاً يقال له: زياد بن جارية التميمي، فقلت له: هل سمعت في النفل شيئاً؟ قال: نعم سمعت حبيب بن مسلم الفهري يقول: شهدت النبي (ﷺ) نَفَّل الربع في البَدْأة، والثلث في الرجعة))(٢).

هذه صورة واحدة ومثلها كثير في تاريخ علمائنا الأفاضل تحكي الحرص، والجد، والهمة التي تتكئ بمرفقيها على هام النجوم.

وإليك صورة أخرى فارسها أمير المؤمنين في الحديث في عصره شعبة بن الحجاج بن الورد العتكي أوردها الخطيب في كتابه: الرحلة في طلب الحديث عن نصر بن حماد الوراق أنه قال: (كنا قعوداً على باب شعبة نتذاكر، فقلت: ثنا إسرائيل، عن أبي إسحاق، عن عبد الله بن عطاء عن عقبة بن عامر قال: كنا نتناوب رعية الإبل على عهد رسول الله (ﷺ) فجئت ذات يوم والنبي (ﷺ) حوله أصحابه فسمعته يقول: (من توضأ فأحسن الوضوء ثم صلى ركعتين فاستغفر الله إلا غفر له) فقلت بخ بخ، فجذبني رجل من خلفي فالتفت فإذا عمر بن الخطاب فقال: الذي قبل أحسن، فقلت: وما قال؟ قال: قال: (من شهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، قيل له ادخل الجنة من أي أبواب الجنة شئت).

**قال:** فخرج شعبة فلطمني ثم رجع فدخل، فتنحيت منه ناحية، قال: ثم خرج فقال: ماله يبكي بعد؟ فقال له عبد الله بن إدريس: إنك أسأت إليه فقال شعبة:

---

(١) هو الزيادة على ما يستحق من الغنيمة، بمقدار الربع أو الثلث، انظر النهاية في غريب الحديث والأثر: ١٠٣/١ مادة: بَدَأ.

(٢) أخرجه أبو داود في سننه: كتاب الجهاد: باب فيمن قال: الخمس قبل النقل: ١٨٢/٣: ح (٢٧٥٠).

أنظر ما تحدث؛ إن أبا إسحاق حدثني بهذا الحديث عن عبد الله بن عطاء عن عقبة بن عامر، فقلت لأبي إسحاق مَنْ عبد الله بن عطاء؟ قال فغضب، ومسعر بن كدام حاضر قال: فقلت له: لتصححن لي هذا أو لأحرقن ما كتبت عنك، فقال لي مسعر: عبد الله بن عطاء بمكة، قال شعبة: فرحلت إلى مكة لم أرد الحج، أردت الحديث، فلقيت عبد الله بن عطاء فسألته، فقال: سعد بن إبراهيم حدثني، فقال لي مالك بن أنس: سعد بالمدينة لم يحج العام، قال شعبة: فرحلت إلى المدينة فلقيت سعد بن إبراهيم فسألته فقال: الحديث عندكم: زياد بن مخراق حدثني، قال شعبة: فلما ذكر زياداً قلت: أي شيء هذا الحديث؟ بينما هو كوفي إذ صار مدنياً، إذ صار بصرياً، قال: فرحلت إلى البصرة فلقيت زياد بن مخراق فسألته، فقال: ليس هو من بَابَتِك، قلت حدثني به، قال لا تُردْه، قلت حدثني به، قال: حدثني شهر بن حوشب عن أبي ريحانة عن عقبة بن عامر عن النبي (ﷺ) قال شعبة: فلما ذكر شهر بن حوشب: قلت دمّر علي هذا الحديث، لو صح لي مثل هذا عن رسول الله (ﷺ) كان أحب إليَّ من أهلي ومالي والناس أجمعين) ا.هـ([1]).

أبعد هذا الجهد والبلاء تنال مقالةُ السوءِ السنةَ النبويةَ ورجالها المخلصين؟؟. ولو لم يكن لهم من المفاخر إلا هذا لكفى، مع العلم أنهم يعدون ترك الرحلة ثلباً ومنقصة، قال ابن معين: (أربعة لا يؤنس منهم رشد وعد منهم: رجل يكتب في بلده ولا يرحل في طلب الحديث...)([2])

وحين جمعت السنة في الصحف وصنفت الكتب كانت متوفرة في البلدان لكنها لم تغن عن الرحلة في طلب العلم فلقد كانت الكتب لتيسير التحصيل على

(١) الرحلة في طلب الحديث: ص ١٤٨ رقم (٥٩).

(٢) الرحلة في طلب الحديث: ص ٨٩ رقم (١٤).

المتساهل، أما الذي كان يلتمس شرف العلم وكرامته فلم يكن ليرضى بما يقرأه في الكتب، بل ظلت أشهى أمانيه الرحلة في طلب الحديث([1]).

هذا ولتعلم أخي القارئ أن للرحلة ثماراً ما تزال يانعة وفوائد جمة منها:

١- إثراء الجانب العلمي لدى المرتحل إذ إنه برحلته يلقى بيئات وعادات، مختلفة عن مألوفه، ومشكلات جديدة يقابلها فيتوسع فقهه واجتهاده.

٢- نشر الثقافة والمعرفة في بلدان العالم خاصة إذا كان العالم نبغ في بلدة صغيرة تضيق عن علمه فإنه ينتقل إلى غيرها من البلدان التي تغص بالعلماء وطلبة العلم الأمر الذي يساعد على تلقي الثقافات المتنوعة وانتشارها.

٣- تزكية النفس واستقامة السلوك، بمشامّة أهل الفضل والزهد ومجالسة العباد من العلماء وغيرهم، فبالارتحال والإسناد تصفو أخلاق الرجال.([2])

هذا بالإضافة إلى ارتباط بلدان العالم الإسلامي بعضها ببعض في العلم والتجارة والسياحة وغير ذلك، فألغيت السدود والحدود، من دون شروط أو قيود فأصبح العالم الإسلامي أشبه بالبلدة الواحدة تنطوي قلوب أبنائها جميعاً على مبادئ واحدة وتنداح في أوساطهم تعاليم مماثلة([3]).

---

(١) علوم الحديث ومصطلحه: الباب الأول: الفصل الثالث: الرحلة في طلب الحديث: ص (٦٢)

(٢) بتصرف من مقدمة مختصر كتاب الرحلة للخطيب: فوائد الرحلة: ص (٢٤) وما بعدها

(٣) بتصرف من كتاب علوم الحديث ومصطلحه: ٥٧...

## ٣- تدوين الطبقات ومعرفة أوطان الرواة

وهو فن مهم، افتضح بسبب الجهل به غير واحد من المصنفين وغيرهم.(١) نتج عن كثرة العلماء والمشايخ في الأزمان وانتشارهم في الأوطان أن دونت أخبارهم، وأشياخهم وتلاميذهم، الأمر الذي سد الباب على المغرضين الذين استغلوا تشابه الأسماء أو الاتفاق في الشيوخ والتلاميذ فدسوا على الناس أحاديث وركبوا لها أسانيد، كشفها حماة السنة ببيان طبقات الرواة وبلدانهم، ومن أخذوا عنه وأخذ عنهم وهكذا حتى أصبح رجال الإسناد معروفين مميزين يستطاع الوصول إلى معرفة أحوالهم ورواياتهم بسبب تدوين الطبقات وتاريخ الرواة، ومن لم يعرف عنه شيء جهلوه وردوا روايته فبواسطتها يؤمن التداخل بين المتفقين في الاسم، والكنية، وغير ذلك. كما يتوصل به إلى الاطلاع على تبيين التدليس، والوقوف على المراد من العنعنة أهي على سبيل الاتصال أم الانقطاع(٢).

وتجلي لنا معرفة طبقات المحدثين بعض ما يتعلق بالرواة والأسانيد مثل المؤتلف والمختلف، والمتفق والمفترق، والعالي والنازل، والمدبج ورواية الأقران وغير ذلك مما له صلة بمعرفة طبقات المحدثين فضلاً عن الاتصال والانقطاع.

---

(١) المقنع في علوم الحديث لابن الملقن: النوع الثالث والستون: ٢/٦٦٨.

(٢) منهج النقد في علوم الحديث: علوم أسماء الرواة: ص ١٤٥.

## ٤- معرفة تواريخ الرواة

**التاريخ عند المحدثين هــو:** التعريف بالوقت الذي تضبط به الأحوال فــي المواليد والوفيات ويلتحق به من الحوادث والوقائع التي ينشأ عنها معانٍ حــسنة من تعديل وتجريح ونحو ذلك([1]).

فهو علم يتعلق برجال الإسناد، والسند هو الطريق الموصــل إلــى المــتن ومنهما يتكون الحديث، فلا بد –والحالة هذه– من إنارة الطريق وكشفها بمعرفة أحوال الرجال ليتم بعد ذلك الحكم على المتن قبــولاً أو رداً، بوضــوح، قــال السخاوي (رحمه الله): (وهو فن عظيم الوقع من الدين، قديم النفع به للمــسلمين لا يستغنى عنه، ولا يعتنى بأعم منه خصوصاً ما هو القصد الأعظم منــه، وهــو البحث عن الرواة، والفحص عن أحوالهم، في ابتدائهم وحالهم، واستقبالهم، لأن الأحكام الاعتقادية والمسائل الفقهية مأخوذة من كلام الهــادي مــن الــضلالة، والمبصر من العمى والجهالة، والنقلة لذلك هم الوسائط بيننا وبينــه، والــروابط في تحقيق ما أوجبه وسنه، فكان التعريــف بهــم مــن الواجبــات والتــشريف بتراجمهم من المهمات، ولذا قام به في القديم والحديث أهل الحديث بــل نجــوم الهدى ورجوم العدى ووضعوا التاريخ المشتمل على ما ذكرناه مع ضــمهم لــه الضبط لوقت كل من السماع، وقدوم المحدث البلد الفلاني في رحلة الطلب وما أشبهه كما تقدم شيء من تصانيفهم في آداب طالب الحديث ليختبروا بذلك مــن جهلوا حاله في الصدق والعدالة). ا.هــ([2]).

ولما كتب العلماء تواريخ الرواة لم يقتصروا على ذكــر تــاريخ الــولادة والوفاة حسب، بل مزجوا ذلك بذكر ما يتعلق بالراوي نقداً (جرحــاً وتعــديلاً)

---

(١) فتح المغيث للسخاوي: تواريخ الرواة والوفيات: ٣/٢٨٠.

(٢) فتح المغيث الموضع السابق.

بذكر أقوال النقاد فيه، وذكر حياته الشخصية والعلمية والعقلية وغير ذلك مما له صلة أو أثر في روايته.

**قال السخاوي أيضاً:** (وكذا يتبين به ما في السند من انقطاع أو عضل، أو تدليس، أو إرسال ظاهر أو خفي، للوقوف به على أن الراوي مثلاً لم يعاصر من روى عنه أو عاصره ولكن لم يلقه لكونه في غير بلده، وهو لم يرحل إليها مع كونه ليست له منه إجازة أو نحوها، وكون الراوي عن بعض المختلطين سمع منه قبل اختلاطه، ونحو ذلك، وربما يتبين به التصحيف في الأنساب. .. وهو أيضاً أحد الطرق التي يتميز بها الناسخ والمنسوخ كما سلف في بابه، وربما يستدل به لضبط الراوي حيث يقول في المروي: وهو أول شيء سمعته منه، أو رأيته في يوم الخميس يفعل كذا، أو كان فلان آخر من روى عن فلان، أو سمعت فلاناً يحدِّثُ قبل أن يحْدُث ما حدَث أو قبل أن يختلط...)([1]).

هذا وقد تنوعت طرائق المصنفين في تواريخ المحدثين، فمنهم من ألف في تاريخ بلدان معلومة، كبغداد، ودمشق، ونيسابور، وأصبهان، وغيرها، ومنهم من ذكر تاريخ رجال كتب مخصوصة، مثل عائلة كتاب الكمال، وغير ذلك.

وبالتاريخ يتبين لنا أنه من الأسلحة التي تفتك بالكذابين والوضاعين، وغيرهم ممن لا تقبل روايته.

**أخرج الخطيب البغدادي في الكفاية عن الثوري قوله:** (لما استعمل الرواة الكذب استعملنا لهم التاريخ) ا.هـ([2]).

---

(١) فتح المغيث الموضع السابق ص ٢٨٣.

(٢) الكفاية ص ١١٩.

**وقال حفص بن غياث:** (إذا اتهمتم الشيخ فحاسبوه بالسِّنِّين) ا.هـ. قال الخطيب: (يعني احسبوا سنه وسن من كتب عنه) ا.هـ(١).

**والأمثلة على ذلك كثيرة، والأغراض متنوعة. روى الخطيب بإسناده عن عقبة بن معدان الكلاعي قال:** (قدم علينا عمرو بن موسى حمص فاجتمعنا إليه في المسجد، فجعل يقول: حدثنا شيخكم الصالح، فلما أكثر قلت له: من شيخنا هذا الصالح؟ سمِّه لنا نعرفه، قال: فقال: خالد بن معدان، قلت له في أي سنة لقيته؟ قال: لقيته سنة ثمانٍ ومئة، قلت له: فأين لقيته؟ قال لقيته في غزاة أرمينية قال: فقلت له: اتق الله يا شيخ ولا تكذب، مات خالد بن معدان سنة أربع ومئة، وأنت تزعم أنك لقيته بعد موته بأربع سنين، وأزيدك أخرى أنه لم يغز أرمينية قط، كان يغزو الروم) ا.هـ(٢).

ومما كشفه لنا التاريخ القصة المذكورة في بحث الحديث الموضوع في كتب مصطلح الحديث فيما يعرف به الوضع، وقد ذكرها ابن كثير فقال: (ولما ادعى اليهود الخيابرة أن معهم كتاباً نبوياً فيه إسقاط الجزية عنهم أوقف ابن المُسْلِمة الخطيبَ على هذا الكتاب فقال: هذا كذب، فقيل: وما الدليل على ذلك؟ فقال: لأن فيه شهادة معاوية بن أبي سفيان ولم يكن أسلم يوم خيبر، وقد كانت خيبر في سنة سبع من الهجرة، وإنما اسلم معاوية يوم الفتح، وفيه شهادة سعد بن معاذ وقد كان توفي عام الخندق سنة خمس فأعجب الناسَ ذلك، وقد سُبِقَ الخطيبُ إلى هذا النقد)(٣).

---

(١) الكفاية الموضع السابق.

(٢) المصدر السابق.

(٣) البداية والنهاية: حوادث سنة ٣٦٤هـ: ٢٨/١٦.

مما سبق يظهر لنا أهمية معرفة تواريخ الرواة عند المحدثين وما يلحق به من معرفة أوطانهم ورحلاتهم وطبقاتهم وغير ذلك، ومدى اهتمامهم به.

**قال أبو عبد الله الحميدي:** (ثلاثة أشياء من علوم الحديث يجب تقديم التهمم [الاهتمام] بها: العلل وأحسن كتاب وضع فيه كتاب الدارقطني، والمؤتلف والمختلف وأحسن كتاب وضع فيه كتاب ابن ماكولا، ووفيات الشيوخ وليس فيها كتاب) ا.هـ.

**قال ابن الملقن:** فيها غير كتاب، ولكن من غير استقصاء وتعميم، وتواريخ المحدثين مشتملة على ذكر الوفيات، ولذلك ونحوه سميت (تواريخ)...) ا.هـ(١).

هذا وكلما وجدت ثغرة مفتوحة يُدْخَلُ منها على السنة سارع العلماء إلى وضع سِدادٍ فيها لا يسقط أبداً ولما ذكر الخطيب صفات من يُجتنَبُ السماع منه ذكر منهم: أن يدعي السماع ممن لم يلقه ثم قال: ولهذه العلة قيد الناس مواليد الرواة وتاريخ موتهم فوجدت روايات لقوم عن شيوخ قصرت أسنانهم عن إدراكهم...)(٢).

## ٥- نقد الرواة (الجرح والتعديل)

نشأ علم الجرح والتعديل مع نشأة الرواية في الإسلام إذ كان لا بد لمعرفة الأخبار الصحيحة من معرفة رواتها، معرفة تمكن أهل العلم من الحكم بصدقهم أو كذبهم، حتى يتمكنوا من معرفة المقبول من المردود لذلك سألوا عن الرواة، وتتبعوهم في مختلف أحوال حياتهم العلمية، وعرفوا جميع أحوالهم، وبحثوا أشد

---

(١) المقنع في علوم الحديث لابن الملقن: النوع الستون معرفة التواريخ والوفيات: ٦٤٥/٢، ٦٤٦.

(٢) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع: ذكر من يجتنب السماع منه: ١٣١/١.

البحث حتى عرفوا الأحفظفالأحفظ، والأضبط فالأضبط، والأطول مجالسة لمن فوقه ممن كان أقل مجالسة([1]).

كل ذلك من أجل حفظ السنة النبوية وحمايتها من الزيف والدخل، وبيان ما يقبل منه فيعمل به وما يرد فلا يعمل به.

**قال ابن الملقن:** هو من أجل الأنواع وأفخمه، فإنه المرقاة إلى معرفة صحة الحديث وسقمه. ا.هـ([2]).

ومما يدل على اهتمام العلماء به أنْ عدَّوه من النصيحة لهذا الدين.

**جاء أبو تراب النخشبي إلى الإمام أحمد ووجده يقول:** فلان ثقة، فقال له أبو تراب يا شيخ لا تغتاب العلماء، فالتفت إليه أحمد وقال له: ويحك هذا نصيحة، ليس هذا غيبة([3]).

ورأوا أيضاً أنه من باب ذب الكذب عن الرسول (ﷺ) ونفيه، قال أبو بكر بن خلاد: قلت ليحيى بن سعيد: أما تخشى أن يكون هؤلاء الذين تركت حديثهم خصماءك عند الله يوم القيامة؟ فقال: لأن يكونوا خصمائي أحب إليَّ من أن يكون خصمي رسول الله (ﷺ) يقول لي: لِمَ لَمْ تذبَّ الكذب عن حديثي؟![4].

لقد أجمع العلماء على جوازه، وعده بعضهم واجباً، صوناً للدين وحفظاً، وكلامهم في ذلك كثير وليس المقام الآن مقام ذكره وبيانه فإنه مستفيض عنهم.

**قال السخاوي:** ("ومع ذا" أي كون الجرح والتعديل خطراً فلا بد منه، "فالنصح" في الدين لله ولرسوله ولكتابه وللمؤمنين "حق" واجب يثاب متعاطيه

---

(١) أصول الحديث علومه ومصطلحه: علم الجرح والتعديل: ص ٢٦١.

(٢) المقنع في علوم الحديث: النوع الحادي والستون: معرفة الثقات والضعفاء: ٦٥٧/٢.

(٣) الكفاية ص ٤٤.

(٤) المصدر السابق.

إذا قصد به ذلك، سواء كانت النصيحة خاصة أو عامة.... ولذا استثنوا هذا من الغيبة المحرمة، وأجمع المسلمون على جوازه بل عُدَّ من الواجبات للحاجة إليه، وممن صرح بذلك: النووي، والعز بن عبد السلام، ولفظه في قواعده: القدح في الرواة واجب لما فيه من إثبات الشرع، ولما على الناس في ترك ذلك من الضرر في التحريم والتحليل وغيرهما من الأحكام. ..) ا.هـ(١).

والدارس هذا العلم لا شك يُلفي في أعماقه إنصاف العلماء ونزاهتهم في الحكم على الرجال فإنهم لم يجعلوا المقبولين منهم في درجة واحدة بل رتبوهم على حسب قوتهم ومتانتهم في الدين والعقل والمروءة، فمنهم من تقبل روايته وهو المقدم على غيره، ومنهم من لا تقبل روايته وحده بل لا بد من وجود متابع له أو شاهد وبين هاتين المرتبتين مراتب، هذا في جانب المقبولين، وكذا المردودن فمنهم الكذاب الوضاع الذي لا تحل رواية حديثه إلا لبيان كذبه ومنهم من يكتب حديثه ولكنه لا يقبل منفرداً وبين هاتين المرتبتين مراتب ودرجات.

الأمر الذي يدل على التحفظ في إصدار أقوال الجرح والتعديل اللائقة بكل راوٍ.

ومنهم من تقبل روايته في حال دون آخر كمن تقبل روايته قبل اختلاطه، أو قبل احتراق كتبه، أو غير ذلك.

ومنهم من تقبل روايته إذا روى عنه شخص بعينه دون غيره، أو إذا روى هو عن شيخ يعينه دون غيره، وهكذا.

كل هذا لأن النقاد كالقضاة يشترط فيهم العدالة والأمانة والديانة والابتعاد عن الهوى.

---

(١) فتح المغيث: معرفة الثقات والضعفاء: ٣/٣١٧.

**قال السخاوي:** ("فالجرح والتعديل" خطر لأنك إن عدّلت بغير تثبت كنت كالمثبت حكماً ليس بثابت، فيخشى عليك أن تدخل في زمرة من روى حديثاً وهو يظن أنه كذب، وإن جرحت لغير تحرز أقدمت على الطعن في مسلم بريء من ذلك، ووسمته بميسم سوء يبقى عليه عاره أبداً وهو في الجرح بخصوصه (أي خطر)... فإن فيه مع حق الله ورسوله حق آدمي، وربما يناله إذا كان بالهوى ومجانبةِ الاستواءِ الضررُ في الدنيا قبل الآخرة والمقت بين الناس، والمنافرة...) ا.هـ(١).

ومما يدل على صدق النقاد ونزاهتهم، أنهم يردون رواية المشهورين بالعبادة والصلاح والزهد والنسك إذا كان من أهل الغفلة والنسيان ونحو ذلك ولم يشفع له صلاحه كحال أهل زماننا إذا رأوا من كان كذلك برأوه من كل عيبأو نقيصة في دينه أو عقله.

**قال ابن معين:** (إنا لنطعن على أقوام لعلهم قد حطوا رحالهم في الجنة منذ أكثر من مئتي سنة) ا.هـ(٢)

وهذا الأمر – ترك الرواية عمن عرف بالصلاح، دون معرفته بالرواية– مستفيض بينهم متفق عليه قال الإمام مالك (رحمه الله): (لا يؤخذ العلم من أربعة ويؤخذ ممن سوى ذلك: لا يؤخذ من رجل صاحب هوى يدعو الناس إلى هواه، ولا من سفيه معلن بالسفه، وإن كان من أروى الناس، ولا من رجل يكذب في أحاديث الناس وإن كنت لا تتهمه أن يكذب على رسول الله (ﷺ) ولا من رجل له فضل صلاح وعبادة لا يعرف ما يحدث) ا.هـ(٣)

---

(١) فتح المغيث الموضع السابق.

(٢) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع: كتب كلام الحفاظ في الجرح والتعديل: ٢٠١/٢.

(٣) الكفاية: باب ترك الاحتجاج بمن لم يكن من أهل الضبط والدراية وإن عرف بالصلاح والعبادة: ص ١٦٠.

# الخاتمة

لقد وجدت في رحلتي مع هذا البحث فوائد كبيرة، تحوي دراً كثيرة تدل على جهود عظيمة بذلها علماؤنا الأفاضل صيانة للسنة وخدمة للشريعة الأمر الذي ينضوي في مضمون قوله تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴿٩﴾ ﴾ (الحجر: ٩) إذ هيأ الله رجالاً لذلك فكانوا أهلاً للأمانة فحفظوها وحافظوا عليها حتى أدوها، فإن السنة النبوية لا يستغني عنها القرآن بحال وإن كانت مشمولة بآية واحدة منه هي قوله تعالى: ﴿ ...وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا ...﴿٧﴾ ﴾ (الحشر: ٧) فحفظُها من حفظِ القرآن.

**لكن أذكر بعض ما توصلت إليه:**

١- أن الله تعالى جعل فضلاً كثيراً لمن جاء بعد الصحابة – رضوان الله عليهم – وهو الجهد والاجتهاد غير المحدودين في الانشغال بالعلم تعلماً وتعليماً.

٢- معرفة كل جيل يأتي بعد من سبقه بالمهمة التي يلزمه القيام بها فيضم إنجازاته ويربطها بمن سبقه، ولذا تشعبت فنون العلم ومعرفته.

٣- إن المتربصين بهذا الدين – دستوره ورجاله – لم يتوقفوا منذ بدء الرسالة إلى يوم الناس هذا عن الدس فيه والكيد له.

٤- إقامة الحجة وتوضيح المحجة لمن أراد السير على منهج الرسول (ﷺ) بأنه باق وسيظل كذلك.

٥- التيقظ الذهني عند علماء الإسلام – وخاصة المحدثين- لرصد المنطلقات التي ينطلق منها المغرضون وأصحاب الانحراف وسدها.

٦- أقترح أن ترجع الأمة إلى دراسة السنة والسيرة وتطبيقها في واقعها المعاش باليسر والسهولة المعروفة عنها.

والحمد لله رب العالمين

# المصادر والمراجع


| م | المرجع |
|---|---|
| ١ | أصول الحديث علومه ومصطلحه لمحمد عجاج الخطيب – دار الفكر– بيروت لبان ١٤٠١هـ الطبعة الرابعة. |
| ٢ | البداية والنهاية لابن كثير – دار هجر – القاهرة – تحقيق د/ عبد الله التركي. |
| ٣ | تدريب الراوي للسيوطي – دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان – تحقيق عبد الوهاب عبد اللطيف. |
| ٤ | تذكرة الحفاظ للذهبي – دار إحياء التراث العربي. |
| ٥ | التمهيد لابن عبد البر – طبع وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية بالمغرب. |
| ٦ | جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر – دار ابن الجوزي – السعودية – تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي. |
| ٧ | جامع الترمذي – المكتبة الإسلامية للطباعة والنشر – استانبول – تركيا. |
| ٨ | الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع – مكتبة المعارف – الرياض – تحقيق د/ محمد الطحان. |
| ٩ | الرحلة في طلب الحديث للخطيب البغدادي – دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان – بتحقيق نور الدين عتر. |
| ١٠ | سنن أبي داود – دار الحديث – حمص – سوريا – تعليق عزت |

الدعاس.
١١ سنن ابن ماجة – دار إحياء التراث العربي – بيروت – لبنان.
١٢ سنن الدارمي – دار الريان للتراث – القاهرة – تحقيق فؤاد زمرلي.
١٣ شرف أصحاب الحديث للخطيب البغـدادي – دار الكتـب العلميـة – بيروت.
١٤ صحيح مسلم – دار الفكر – بيروت – لبنان.
١٥ العلل للترمذي في آخر جامعه.
١٦ العلل للدار قطني – دار طيبة – الريـاض – الـسعودية – تحقيـق د/ محفوظ الرحمن السلفي.
١٧ علوم الحديث ومصطلحه لصبحي الـصالح – دار العلـم للملايـين – بيروت – لبنان.
١٨ فتح الباري لابن حجر – نشر وتوزيع إدارة البحوث العلمية – الرياض
١٩ فتح المغيث للسخاوي – المكتبة السلفية – المدينة المنورة – تحقيق عبد الرحمن محمد عثمان.
٢٠ الكفاية للخطيب البغدادي – المكتبة العلمية.
٢١ المستدرك على الصحيحين للحاكم.
٢٢ مسند أحمد – طبع المكتب الإسلامي – بيروت – لبنان.
٢٣ مسند الحميدي – المكتبة السلفية – دار المدينة المنورة – تحقيق حبيـب الرحمن الأعظمي.
٢٤ مشكل الآثار للطحاوي – مؤسسة الرسالة – بيروت – لبنان – بتحقيـق

شعيب الأرناؤوط.

٢٥ مقدمة صحيح مسلم – دار الفكر – بيروت – لبنان.

٢٦ المقنع في علوم الحديث لابن الملقن – دار فواز للنشر – الإحساء – السعودية – تحقيق عبد الله الجديع.

٢٧ منهج النقد في علوم الحديث لنور الدين عتر – دار الفكر – بيروت – لبنان.

# فهرس الموضوعات


| الموضوع | الصفحة |
|---|---|
| **المقدمة** | ٣ |
| **المطلب الأول:** جهود الصحابة (ﷺ) | ٦ |
| ١- التقليل من الرواية | ٦ |
| ٢- التثبت من الراوي | ١٠ |
| ٣- (عرض ما لم يحفظوه على المحفوظ) أو السؤال عنه | ١٢ |
| **المطلب الثاني:** جهود التابعين فمن بعدهم | ١٥ |
| ١- المطالبة بالإسناد | ١٥ |
| ٢- الرحلة | ١٩ |
| ٣- تدوين الطبقات ومعرفة أوطان الرواة | ٢٦ |
| ٤- معرفة تواريخ الرواة | ٢٧ |
| ٥- نقد الرواة (الجرح والتعديل) | ٣٠ |
| **الخاتمة** | ٣٤ |
| **المصادر والمراجع** | ٣٦ |
| **فهرس الموضوعات** | ٣٩ |